● سيرة شهيد

الشهيد عباس بابائي: قربان عيد الأضحى

كان شهيدنا العزيز هذا إنساناً مؤمناً ومتقياً وجندياً عاشقاً ومضحياً، وثابتاً وصامداً في خصوصياته هذه طوال فترة معرفتي به. لم يكن يفكر في مصالحه الشخصية ابداً، بل كان همّه مصالح سلاح الجو والثورة والإسلام.. كان قائداً متواضعاً وحميماً جداً مع من تحت إمرته، لكنه شديد لا يطيق الأعمال السيئة والقبيحة.. كان هذا الشهيد العزيز ثورياً حقيقياً وصادقاً. وإنني اغتبطه كثيراً وأشعر أنني تأخرت عنه في هذا الميدان الملحمي العظيم".
الامام الخامنئي (حفظه الله)

المولد والنشأة

ولد عباس بابائي عام ١٩٥٠ في مدينة قزوين. ثم التحق بالمدرسة التجريبية للقوات الجوية ليتم ارساله بعدها إلى الولايات المتحدة لإكمال الدورة التجريبية لمدة ٣ سنوات. كان أبرز ما حصل خلال تلك الفترة، هو دخول طائرة متطورة من طراز F-١٤ إلى سلاح الجو الإيراني. وفي حين كان الشهيد بابائي من طياراً متميزاً بقيادة الطائرة المقاتلة F-٥، تم اختياره للطيران بالطائرة F-١٤ للمرة الأولى ونقلها إلى قاعدة أصفهان الجوية، وكان أول طيار إيراني استطاع تزويد طائرة F-١٤ بالوقود أثناء تحليقها ليلاً، في الحرب المفروضة.

المسؤوليات ومدارج الكمال

مع ذروة الثورة ضد نظام الشاه، دخل الطيار بابائي، بصفته أحد الأفراد الثوريين في سلاح الجو، ساحة المعركة. بعد انتصار الثورة الإسلامية، تم تكليفه بقيادة القاعدة الجوية الثامنة. وكان من أول الأعمال التي قام بها هو العمل على بناء وتطوير القرى المحرومة في ضواحي القاعدة ومدينة أصفهان، إلى ان تمت ترقيته إلى رتبة عقيد ونُقل إلى طهران.

نشاطه في الثورة وبعدها

في هذه الفترة، أنجز الطيار الشهيد، أكثر من ٣٠٠٠ ساعة من الطيران مع جميع أنواع الطائرات المقاتلة. إذ أمضى أغلب وقته في الجبهات والمعسكرات غربي البلاد. حتى أصبح وجهًا مألوفًا لـ "الباسيج" و صديق مخلص لقادة المعسكرات العملياتية. ومنذ تلك الفترة إلى ما قبل شهادته، كان قد قام بأكثر من ٦٠ عملية جوية ناجحة. فيما لم تقتصر أعماله العسكرية على الاشراف، بل كان أول طيار يشارك في جميع المهام القتالية المخطط لها، مما جعله على دراية كاملة بالتهديدات والمخاطر المحتملة.

لحظة الوصال

صباح عيد الأضحى عام ١٩٨٧، حلّق مع أحد طياري القوات الجوية (العقيد نادري) بطائرة تدريب من طراز F-٥ من قاعدة تبريز الجوية لتحديد استراتيجية العملية التي كانت على قيد التنفيذ... وبعد استكمال المهمة، أصيب لدى عودته برصاص مضاد للطائرات في سماء الخطوط الحدودية، حيث أصيب في رأسه واستشهد على الفور.

يُذكر أنه كانت للشهيد محاورة بينه وبين أقربائه قبل أيام من استشهاده وكانوا قاصدين الذهاب إلى الحج، حيث قال لهم: "سألتحق بكم في مكة المكرمة يوم عيد الأضحى"! والعجيب أن استشهاده كان يوم عيد الأضحى.

في يوم تكريم الأسرى والمفقودين الإيرانيين:

عاشوراء خلف القضبان: انتصار الإرادة على الأسر

ظن الأمويون أنهم استطاعوا النيل من النبي الأعظم (ص)، بمقتل سبطه الإمام الحسين (ع) وأصحابه وذريته، وحسبوا أن يدهم قد بسطت على هذه الأمة، وأنهم بقتل الإمام الحسين (ع) أصبحوا قادرين على فعل ما يشاؤون، دون أن يردعهم رادع، أو يمنعهم مانع، فرفعوا من مستوى نكايتهم بذرية رسول الله (ص) وسبوا نساءهم، كما تُسبى نساء الأعداء.

لكنهم لم يدركوا أن في ذلك بداية فضحهم أمام الملأ، وأن ذاك السبي، وإن كان إذلالاً لبنات الرسالة بحسب الظاهر، إلا في حقيقة الأمر، كان ثمرة مباركة من ثمرات الحركة الحسينية، وشرط أساسي لإعمال مفاعيلها، وإنجاحها على المستوى الإعلامي العام، وبيان أكذوبة الأمويين في انتمائهم إلى الإسلام، عبر مواقف الإمام زين العابدين (ع)، والحوراء زينب وأم كلثوم، وغيرهم من أهل بيت النبوة، وكان السبي مضافاً إلى قتل الإمام الحسين (ع) أثراً بالغاً في تثبيت الحق، وإعادة الرونق والأصالة إلى دين الإسلام، بعدما كادت دعائمه أن تنهار في عالم النسيان والإهمال.

بداية رحلة السبي

لقد بدأت مهمة السيدة زينب(ع) منذ استشهاد الإمام الحسين (ع) عصر يوم عاشوراء عام ٦١هـ على أرض كربلاء مخضباً بدم الشهادة. لم تكن رحلة السبايا من أهل بيت النبوة، شبيهة بمثيلاتها من سبايا الحروب، بل فاقت كل التوقعات في الفظاعة والهمجية، رغم انتساب خصومهم، وفق الظاهر، إلى دين جدهم رسول الله محمد (ص)، إذ أمر "عمر بن سعد" بحمل الركب الحسينيّ من بنات النبوّة على إبل بلا وطاء ولا غطاء ثمّ مر الركب الكئيب على الجثامين الطاهرة في كربلاء حيث وقفت العقيلةُ المكرمة زينب بنت أمير المؤمنين(ع) على بدن أخيها الإمام الحسين (ع) وصاحت "وامحمّداه صلّى عليك مليكُ السماء هذا حسين بالعراء مرمل بالدماء مقطّع الأعضاء وبناتُك سبايا وذرّيتك مقتّلة".

وهكذا بدأت رحلة السبايا بعد ظهر يوم الحادي عشر من المحرم، إذ قام عمر بن سعد بالرحيل عن كربلاء بركب السبايا وهن عشرون امرأة وما يقارب من ثمانين طفلاً وطفلة، إضافة إلى الإمام السجاد (ع) بعمر ثلاث وعشرين سنة والإمام الباقر(ع) بعمر سنتين وأشهر في بداية رحلة السبي بعدما قام عمر بن سعد بدفن أجساد قتلى الجيش الأموي وترك جسد الإمام الحسين(ع) وأجساد الشهداء معه ملقاة على تراب كربلاء. وبتلك المحطّة ابتدأ فصلٌ آخر من فصول عاشوراء الدامية، الذي كانت السيدة زينب(ع) هي قطبُ الرحى فيه.

وفي هذا اليوم أطلقت الجمهورية الإسلامية على يوم الحادي عشر من محرم تسمية "يوم الأسرى والمفقودين" والذي يتزامن مع المعاناة الأليمة لسبي آل بيت النبي(ص) تكريماً لأسرى حرب الدفاع المقدس المفروضة على الجمهورية الإسلامية تكريماً للأسرى والمفقودين، الذين ضحوا بحريتهم في الحرب المفروضة على الجمهورية الإسلامية والتي استمرت ثماني سنوات دفع شعبها أغلى الأثمان لنيل الحرية وطرد العدو لإبقاء إسم إيران متألقاً وعالياً. من هؤلاء كان الأسرى الذين باتباعهم قافلة أسرى عاشوراء، خلقوا الحرية في الأسر وأهانوا العدو المنافق.

في هذه المقالة سنتحدث عن كيفية إحياء هؤلاء الأسرى لمراسم عاشوراء في سجون نظام صدام البائد:

صنع النموذج المصغر من ضريح أبا عبد الله الحسين(ع) في معسكرات العدو

إن تحمل المعاناة والمصاعب في معكسرات نظام صدام البائد تمثل إنجازاً آخر وملحمة للمجاهدين في حرب الدفاع المقدس بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية وهذا النظام، فلم يستسلم الأسرى في مطالب وقيود هذا النظام فحسب، بل حاولوا أيضاً أداء الواجبات الدينية وإقامة مراسم العزاء في أيام محرم في معسكراته، يتذكر أحد أسرى الحرب المفروضة أجواء هذه المعسكرات:"... رغم كل المشاكل قررنا صنع النموذج المصغر من الضريح المقدس للإمام الحسين(ع) إحياءً لأيام العزاء، كان يجب أن يتم ذلك سراً وبعيداً عن أنظار المسؤولين العراقيين، وألا يعرف بذلك أحد حتى الشخص المسؤول عن السجن. ولتحقيق ذلك، احتجنا إلى الكثير من المعدات التي لم تكن متوفرة، الكل تطوع للقيام بعمل ما؛ كان أحد الإخوة يبحث عن علب فارغة، والآخر يجمعها والآخر يحولها إلى أنابيب، وكان العديد من الأشخاص يأخذون المقص من مدير المستودع بذرائع مختلفة حتى لا يشك أحد فينا. عملنا لمدة خمسة أيام سراً، وبهمة عالية ومثابرة من جميع المشاركين، وما إن شارف عملنا على الإنتهاء، اشتبه بنا مدير المستودع، فقام بإبلاغ مدير السجن قائلاً: على ما يبدو، هذا السجن يجهز معدات خاصة".

ويكمل الأسير كلامه بالقول:"كنا نركب النموذج المصغر من الضريح عندما دخل المسئول عن السجن ورأى النموذج المطابق وقال: إذا اكتشف جنود العدو ذلك، سنُحرم من أهم البرامج التي ننفذها سراً. لذلك علينا تدميره، فمن الممكن أن يتعرض الكثير من الشباب لمضايقات إذا أعلنا عن النموذج عبر تثبيته وفي ليالي محرم جميعها، فتقرر بعد إصرارنا ووساطة أحد الإخوة القدامى في السجن تخريب النموذج بعد إحياء ليلة واحدة من عاشوراء"

في الوقت نفسه وأثناء حوارنا حول النموذج أطلق الصداميون الصفير إنذاراً لتشكيل الطوابير، كنا قلقين ومتضايقين، ماذا سيحدث لو قدموا إلى السجن للاستجواب؟ وشاهدوا النموذج المصغر للضريح، واكتشفوا ما قمنا به، حينها لا مفر من تعذيب الأسرى ومضايقتهم. متوكلين على الله تعالى خرجنا للمشاركة في الطوابير، ولحسن الحظ لم ينفذ الحراس عمليات تفتيش للسجن، وعدنا إلى السجن سالمين. وبهدف مفاجأة الإخوة الآخرين، أخفينا النموذج المصغر للضريح المقدس خلف ستارة ، وقام البعض بتركيب عدد من الصور للشهداء، وبعد أداء صلاتي المغرب والعشاء أزيلت الستارة وسيطرت أجواء خاصة على الشباب بعد رؤيتهم النموذج المصغر، وكأنهم قد زاروا الإمام الحسين(ع)، تبادرت إلى أذهانهم ذكريات التوجه إلى العتبة المقدسة. تجولنا حول نموذج الضريح المقدس في مجموعات وقرأنا زيارة عاشوراء، حزناً وندباً، واستمر البرنامج حتى الدقائق الأخيرة من الليل. كان البرنامج عظيماً. طلب الإخوة منا تنفيذ البرنامج للسجون الأخرى أيضاً، ولكن وفقاً للوعد الذي قطعناه لمدير السجن، فقد قمنا بتخريب النموذج المصغر بعد الإحياء".

> وبمحطّة السبي ابتدأ فصلٌ آخر من فصول عاشوراء الدامية، الذي كانت السيدة زينب(ع) هي قطبُ الرحى فيه

إحياء المراسم سراً

حاول نظام صدام البائد وهو يرى حالة الأسرى ومعنوياتهم وتأثير العزاء في شهر محرم عليهم، التأكيد لهم أن حالاتهم ومشاعرهم بلا قيمة، على سبيل المثال، رأى أحد الضباط الإخوة يبكون وحزينين وقال: "لماذا تبكون؟ دعونا الإمام الحسين(ع) وقتلناه. لا علاقة لكم به ثم ضحك بصوت عالٍ. وقام ضابط أخر بالدخول إلى السجن كل يوم من أيام عاشوراء مرتدياً لباساً باللون الأحمر، ويقف أمام المجاهدين ويقول باشمئزاز: لقد قتلتم حسين أيضاً. ماذا تقولون الآن؟ مثل هذه الحركات لم تكن متوقعة حقاً إلا من هؤلاء اليزيديين المتوحشين"

ويلفت الأسير إلى أنه:" ولكي نكون في مأمن من اضطهادهم، تعهد عدد من الإخوة خلال مراسم العزاء بإلهاء حراس البعث بذرائع مختلفة حتى لا يلاحظوا مراسم العزاء. كان بعض الإخوة يعزفون على قطعة قديمة أمام باب السجن، لجذب الانتباه عن إقامة مراسم العزاء داخل السجن، ولكي يكون الإخوة داخل السجن مرتاحين للقيام بالمراسم".

وكذلك قام آخرون وفق رواية الأسير :" وممن يجيدون اللغة العربية بإلهاء الحراس بقراءة القصائد والقصص العربية، وقام بعض الإخوة الرياضيين بالتنافس بالألعاب الرياضية مع الحراس لإبقائهم مشغولين لساعات، باختصار، فعل الجميع ما في وسعهم للمساعدة في إقامة مراسم إحياء ليالي عاشوراء وإلهاء الحراس. لكن في الفترة الأخيرة، بما أن الجنود لاحظوا حيل الأخوة فقد تضاعف عددهم مع حلول المحرم ؛ إذ كان لكل سجن ضابطان وكانوا يراقبون السجن بشكلٍ دائم لمنع أي أي أسير من البكاء على الإمام الحسين (ع).

ويكمل الأسير:" في أحد تلك الأيام، عندما كان الحراس يحرسون الباب الأمامي للسجن، قررنا إقامة مراسم العزاء بخدعة جديدة. لذلك، بقي عدد من الإخوة داخل السجن لإلهاء الحراس، و اجتمعت مجموعة أخرى بعيدة عن الحراس في ساحة المعسكر، ويبدو أنها كانت تلعب في إطار حلقات، بينما كانت داخل دائرة هؤلاء الإخوة مجموعة من محبي أبا عبد الله (ع) يقيمون العزاء، ويا لها من عظمة كانت تسود مراسم العزاء".

● كتب تاريخية

كتاب الشعائر الحسينية من المظلومية إلى النهوض

الوفاق/ وكالات

عند أول سهم غدر، انطلق نحو معسكر الإمام الحسين(ع) في كربلاء.. ومع دخول قرار التصدي للظلم والفجور إلى حيّز المواجهة المعلنة والمفتوحة.. دخلت الشعائر الحسينية إلى قلب التاريخ والوجدان الإسلامي. فصارت كل كلمة، وكل موقف، كل ذكر وصلاة وجهاد ووداع، جرت في كربلاء... وضمن الخط الذي رسمه الإمام الحسين(ع) تمثل علما ومعلماً من أعلام الحق والنهضة ومقاومة الباطل... بل صارت شعيرة يتعبّد من خلالها الأحرار روح الموقف الثابت في تحدي كل الصعوبات والمخاطر، نصرة لقيم العدالة، وقضايا الحق والتحرُّر...

ومن التاريخ الذي تسطّر بعد شهادة الإمام(ع)، وسبي السيدة زينب(ع)؛ ومواقف العز التي أطلقتها من سرِّ الإيمان واليقين بالله الأحد المقتدر الذي منه يكون كل خير... وعنه لا يصدر إلا الجميل... انتفضت العقيدة والعبادة والإرادة، فكانت "شعائر حسينية" تحفظ الهدف والغاية، وتستحفظ في طيات معناها كل الشهادة والنهضة، ودوام الحياة، وذكر الإسلام. ب"إحياء الأمر" والإحياء فعلٌ متجدد ومستمر لبث الروح، مستديماً من العبر والتأثيرات التي لا تنضب ولا تجف... ولجعل الواقعة رمزا يشير إلى دلالات لا تنتهي.

إن هذا الكتاب ليس كتاباً يؤرخ للشعائر والمراسم الحسينية، وإن استند إلى التاريخ أحياناً لاستجلاء معنىً من المعاني، أو مفهوماً من المفاهيم، كما وأنه لن يعمل على مناقشة بعض الطروحات الافتراضية الجديدة التي اعتمدت على مناهج علم الاجتماع والنفس، لقراءة الشعائر والمراسم العاشورائية بما يخرجها عن أهدافها الإسلامية... وإن كان النقاش مع مثل هذه الاتجاهات، من المواضيع التي يمكن لنا مستقبلا البحث فيها...

إن هذا الكتاب؛ يريد أن يستجلي البعد الإيماني في الإحياءات العاشورائية، كما ويريد التركيز على الدور النهضوي للشعائر الحسينية؛ وذلك عبر دراسة تتألف من ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ويتناول معنى الشعيرة في الإسلام، وكيف تتفاعل مع البيئة الإجتماعية والثقافية فتنتج بعض المراسم الخاصة واللصيقة بها؛... ثم تُدرس بعد ذلك الشعائر العاشورائية وعلاقتها بأصل الشعيرة في الإسلام، وما هي تأثيراتها الإيمانية والتاريخية ... وتُدرس بالوقت نفسه الخلفية التاريخية_ الدينية للشعائر الحسينية، والتي تتمثل بنهضة الإمام الحسين(ع) وأهدافها...

الفصل الثاني: يُستعرض فيه الشعائر الحسينية بصنوفها الثلاث... ودورها في إحداث التغيير النفسي لدى الملتزم بها، ثم كيف تشكل الهوية الجمعية للمؤمنين بخط الإمام الحسين (ع) ...ثم لحظ الهدفية الإبلاغية في الشعائر الحسينية، ومدى الانسجام المنظومي بين هذه الشعائر في رسم مسار النهوض الإسلامي.

الفصل الثالث: يُستعرض فيه بعض الاتجاهات التي كان لها آراؤها في السلوكيات الإحيائية للمراسم والشعائر العاشورائية،... وبعد استعراضها عُمل على تبيان المائز التجديدي الذي طرحه الإمام الخميني (قدس) في التفاعل النهضوي مع الشعائر العاشورائية.

ما يعني أن هذا الكتاب، يدخل في ما يمكن أن نصنفه ب"أدبيات النهوض" الإسلامي بوجهه العام، والنهوض الإسلامي المعاصر على وجه الخصوص.